طوينا »ذاكرة الصحافة المغربية» التي ستصدر في كتاب، لنحلق بعيدا في رحاب نفس القطاع، ولكن مع الاختلاف في كون السفر الأول كان في الزمان، رجوعا إلى ماضي المؤسسين، وهذا السفر الثاني هو سفر في المكان بحثا عن بروفايلات ومسارات الصحافيين المغاربة العاملين بالخارج. هم كثر يعدون بالمئات، متألقون، حيث يشتغلون في القارات الأربع وفي أكبر المؤسسات الإعلامية عبر العالم، منهم المدير والمسؤول ورئيس التحرير وكبير المراسلين، ومنهم المحرر والمراسل الحربي والمحلل، لهم حكايات وقصص ومغامرات تستحق أن تروى لتكون شاهدا على أن السؤال الذي نطرحه هنا يبقى مشروعاً: لماذا توجد أنفس الكفاءات الصحافية في الخارج والإعلام هنا في الوطن يئن؟ الجواب في ثنايا هذه الشهادات لكتاب التاريخ اليومي بأقلام سفراء المملكة الشريفة.

عبد العالي الزياتي

صحافي وأستاذ جامعي بأمريكا.. حلم مكناسي يتحقق

خفيف الوزن والظل أيضا، سريع الابتسامة رغم كل الظروف المادية القاسية التي حملها من العاصمة الإسماعيلية إلى العاصمة الإدارية، ولكنه أثقل من صخرة في الإصرار على الوصول إلى الهدف.

دخل عبد العالي الزياتي معهد الصحافة ثم أصبح موظفا به قبل أن يطير إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ليعود حاملا للصفة الحلم "الصحافي دكتور الاتصال". رحلة الزياتي درس في الحياة مفاده أن النجاح مسلسل من الانتصارات على الذات وعلى الصعوبات، وهذه حكايته.

» حاوره: يوسف بجاجا
bajajayoussef@gmail.com

الزياتي رفقة أبنائه .. جميلة والياس

← هل كانت الصحافة من بين أحلامكم؟

■ صراحة، منذ الصغر وأنا أحلم أن أكون أستاذا جامعيا، على اعتبار أنها مكانة علمية تمثل بالنسبة لي أرقى درجة من درجات العلم، أما علاقتي بالصحافة فقد ولدت بمكناس مسقط رأسي وبالضبط في مرحلة الثانوي، وكان الدافع إليها ملاحظات أساتذتي الذين كانوا ينوهون بأسلوب كتابتي، ولذلك سار البحث عن الصحافة باعتبارها مجالا لتفريغ موهبة الكتابة الشيقة.

وأذكر أنني كنت أستيقظ في الصباح الباكر للاستماع لبرنامج «يوميات مستمع» الذي كان يقدم للمستمعين مواعيد عن بعض الامتحانات أو معطيات عن بعض المهن والوظائف، ولقد كنت من بين المستمعين الأوفياء لهذا البرنامج، وكنت أتمنى كل صباح أن يتطرق البرنامج لموضوع الصحافة، وقد تزامنت هذه الرغبة مع التحاقي بالقسم النموذجي في السنة السادسة ثانوي في اللغة الإنجليزية، وكان يدرس معي في نفس الفصل عبد السلام عسلون الذي سيصبح في ما بعد أستاذا للاتصال وإعلاميا متميزا، وبالتالي فقد استمر البحث عن معانقة حلم الصحافة إلى أن حصلت على شهادة الباكلوريا شعبة اللغة الإنجليزية، سافرنا معا إلى الرباط للبحث عن مؤسسات تدرس الصحافة، ووجدت مدرسة علوم الإعلام والمعهد العالي للصحافة بشارع ماء العينين الذي يسمى اليوم مدينة العرفان، فكان يوما لا ينسى من فرط السعادة التي أحسست بها، ثم سرت أبحث عن الفرق بين المدرسة والمعهد، فتأكد لي أن المعهد العالي للصحافة هو الذي يدرس الصحافة وليس مدرسة علوم الإعلام.

← وكان ذلك سنة 1983، فمن كان يدرس معك؟

■ نعم، وكان يدرس معي نور الدين مفتاح وأنس بوسلامتي وعبد الكريم بنصفية وعبد اللطيف بنصفية ومحمد الركراكي وخديجة الباب ومحمد سعيد وعلي خلا... وعدد كبير من الزملاء الذين درسوا تخصص الصحافة المكتوبة، وها هم اليوم يحلقون عاليا في سمائها، إما في المغرب أو خارجه، لكنهم بالتأكيد يحلقون كطيور رائعة لها بصمتها في عالم الصحافة، وبدخولي إلى المعهد العالي للصحافة لم تتراجع رغبتي في الوصول إلى مرتبة الأستاذ الجامعي، الحلم الذي راودني منذ الصغر، على الرغم من أن دراستي للغة الإنجليزية توقفت في المعهد، ولم أعد أستعملها بكثرة، حيث إن الدراسة في المعهد كانت باللغة العربية، وفي سنة 1987، التي صادفت تعيين السيد العموري مديرا للمعهد، والذي كانت له بصمته في إدارة المعهد من حيث فتح المجال للطلبة ومساعدتهم وتحميسهم، تم اختياري ضمن برنامج الصحفيين الشباب لزيارة الولايات المتحدة الأمريكية ومتابعة الانتخابات التمهيدية للحزب الجمهوري، أي الانتخابات التي تحسم في اسم مرشح الحزب في الانتخابات الرئاسية، فاجتزت مباراة بنجاح وسافرت إلى الولايات المتحدة، وهنا أذكر السيد العموري وعددا من الإداريين الذين لم يعترضوا على زيارتي لأمريكا على الرغم من أنها تزامنت مع فترة امتحانات نهاية السنة، بل إنهم اعتبروها فخرا واعتزازا للجميع، خاصة وقد كنت الصحافي الشاب الذي يمثل منطقة شمال إفريقيا في هذه الزيارة، وقضينا هناك ستة أسابيع تابعت خلالها الحملة الانتخابية التمهيدية الداخلية للحزب الجمهوري، والتقينا «جورج بوش» الأب، كما صادفت صحافية أمريكية تدرس بكلية «إيزوري» بكولومبيا والتي أحيت في الرغبة في متابعة دراستي في الصحافة والحصول على الدكتوراه باعتبارها أعلى مرتبة في مراتب العلم، حيث قررت أن أجمع بين الإثنين، أي أن أصبح أستاذا جامعيا في مجال الصحافة، فكانت البداية الشاقة بالبحث عن منحة للدراسة، كان من الصعب الحصول عليها لدراسة الصحافة، وهذا ما حدث مع البرنامج الدولي «فولبرايت» والتي لم يسبق لها أن منحت دعما في إطار البرنامج لدراسة الصحافة، فكل المنح كانت قد دعمت الدراسات العليا في مجالات العلوم واللغة الإنجليزية واللسانيات...

← وبالتأكيد حصلت على المنحة في نهاية المطاف؟

■ حصلت على نصف المنحة، والنصف الآخر حصلت عليه من جامعة «أوهايو» ومؤسسة «صوت أمريكا» بمساعدة من المركز الثقافي الأمريكي بالمغرب، ولا يفوتني هنا أن أشكر السيد «بيتر كوفاج» الذي كان مسؤولا عن برنامج التبادل الثقافي في المركز، والذي لعب دورا مهما وحاسما في أن أحصل على النصف الثاني من المنحة، وهكذا انطلقت في مشوار دراسة الصحافة والإعلام والاتصال بالولايات المتحدة الأمريكية.

← المشوار الذي بدأ بعد تخرجكم من المعهد سنة 1987، لكن كيف قضيتم ثلاث سنوات قبل السفر الطويل إلى الولايات المتحدة الأمريكية؟

■ بعد التخرج من المعهد سنة 1987، اشتغلت في وزارة الاتصال بقسم التوثيق، في نفس الوقت الذي كنت أبحث عن منحة استكمال دراستي بالولايات المتحدة الأمريكية، وبعد فترة الاشتغال بقسم التوثيق، طلبت الالتحاق بالمعهد العالي للصحافة الذي درست فيه، حتى لا أنصهر في العمل الإداري، وأظل قريبا من فضاءات الدراسة والبحث أكثر من فضاءات الوظيفة، وهذا ما حدث إلى أن حصلت على المنحة وسافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

← وهي الرحلة التي لن تكون كلها أفراح بالتأكيد؟

■ بالتأكيد، بل يمكن القول إن السنوات الأولى كانت قاسية، وعشت فيها لحظات من المعاناة لا تنسى.

← المعاناة؟

■ نعم، فأنا لم أكن أتوفر على رصيد مالي يساعد على السكن والدراسة

الزياتي الطفل في بداية السبعينيات

الزياتي بالديار الأمريكية

في الولايات المتحدة الأمريكية، كما أنني أتحدر من أسرة متواضعة جدا ماديا وقوية جدا معنويا، وكان رصيدي الوحيد هو الرغبة في الوصول إلى أرقى درجات العلم، فكنت أعاني من نقص الإمكانيات المادية، فمرت علي أيام كنت أعاني من قلة الحاجة والجوع أيضا، ولذلك كنت أشتغل في مهن بالموازاة مع الدراسة في أمريكا.

← مثلا؟

(يضحك) اشتغلت في قطاع النظافة في محل لصاحبه الأمريكي الطيب جدا، والذي كان يساعدنا كثيرا، ثم اشتغلت في البناء، حيث كان لي رصيد منذ الصغر في البناء والزليج (يضحك)، وكان هذا الأمريكي «ميلر»، الذي كان مسلما في أخلاقه ومعاملاته، يقدم لي بعض المال أو ينقص من قيمة الكراء بين الفينة والأخرى.

← وأين درست؟

■ بجامعة «أوهايو» التي كانت آنذاك تعد خامس جامعة في مجال الصحافة والاتصال على الصعيد الأمريكي، وقد درست بها سنتين لاستكمال شهادة «الماجستر».

← ما الفرق بين ما درسته في «أوهايو» وبين ما درسته في الرباط؟

■ ليس هناك اختلاف كبير، لأن الصحافة والاتصال علم واحد وموحد، فالمعهد يكون الطالب ليكون صحافيا عاملا في الصحافة من حيث الكتابة وتقنياتها والأجناس الخبرية وما إلى ذلك... لكن الدراسات العليا في «أوهايو» أو غيرها من الجامعات المتخصصة تُكون المتخرج لكي يصبح مسؤولا عن التدريس وعن القسم، وبالتالي ما درسته في «أوهايو» تكملة لما درسته في معهد الرباط لكن بكثير من الدقة والعمق والتعمق، وبـ«أوهايو» أيضا حصلت على شهادة الدكتوراه.

← لكن عدت قبل ذلك إلى المغرب؟

■ لا، بقيت بأمريكا لدراسة الدكتوراه، حيث تقدمت بطلب دعم دراستي للجامعة، وبعد أخذ ورد تم قبوله، كما فتحت لي الجامعة الإمكانية لتدريس بعض المواد، فكنت أساعد أحد الأساتذة في إدارة مركز للاتصال السياسي، وكنت أدرس مداخل لعلوم الاتصال، وذلك تحت إشراف أستاذ.

لقد كان الحد الأدنى الزمني للحصول على الدكتوراه هو ثلاث سنوات، والحد الأقصى هو سبع سنوات، ولذلك لم يكن علي أن أضيع الفرصة التي منحتني إياها الجامعة، فكان علي الاجتهاد كي أحصل على الدكتوراه في ظرف ثلاث سنوات فقط، وهذا ما حدث بالضبط بعد أن حصلت على «الماجيستر» في ظرف سنتين، فعدت إلى المغرب عبد العالي الزياتي دكتور في علم الاتصال.

← وأين اشتغلت؟

■ (يضحك) بنفس المعهد الذي درست فيه وعملت به إداريا، وقد قضيت به أستاذا من 1996 إلى 2003، حيث كنت أقضي فترة بالمغرب وفترة أخرى بأمريكا أزور فيها زوجتي الأمريكية وأطفالي، وقد كان يساعدني على هذه الزيارات نظام الدراسة بالوحدات المعمول به المعهد العالي، وقد قضيت سنوات على هذه الطريقة، إلى حدود سنة 2003، حيث قدم لي طلب من جامعة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة للتدريس بها، لكن العرض لم يكن مغريا، ثم شاءت الظروف واتصل بي أنس بوسلامتي واقترح علي التدريس بجامعة عجمان بأبو ظبي، فوافقت وسافرت، وكانت تجربة جديدة اكتشفت فيها ثقافة مثيرة، حيث التدريس أولا لم يكن باللغة الإنجليزية، كما كان ممنوعا على الطلبة الاختلاط، وهذا ما شكل بالنسبة لي صدمة ثقافية حقيقية، بالنسبة لي أولا كمغربي وثانيا كمهاجر عاش سنوات في الولايات المتحدة الأمريكية، لكن استطعت مع ذلك التأقلم مع تلك الظروف الطارئة، وهذه ميزة لاحظتها في عدد من الزملاء المغاربة الذين أثبتوا قدرات هائلة على التأقلم وسط التنوع الثقافي الجديد الذي يصطدمون به في بلدان مختلفة.

← إذن بالإمارات طلقت المعهد العالي للرباط؟

■ تماما، وأصبحت أستاذا جامعيا طليقا حرا مهاجرا، خاصة بعد أن تم تعييني ستة أشهر بعد التحاقي بجامعة عجمان، عميدا على كلية الإعلام والاتصال، وبقيت على ذلك الوضع إلى 2007، حيث سافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية أشتغل أستاذا للاتصال بجامعة «ماريانا»، وهي كلية خاصة درّستُ فيها لمدة أربع سنوات، قبل أن أسافر سنة 2011 إلى جامعة ولاية «ويست فيرجينيا» التي أشتغل فيها حتى الآن كأستاذ للاتصال ورئيس قسم الاتصال والإعلام والعلاقات العامة إلى يومنا هذا.

← في كل هذا المشوار الشيق والمتعب أيضا، ما هي أقوى اللحظات التي لا يمكن نسيانها؟

■ لا يمكن أن أنسى أي شيء.

← تتحدثون بصوت يبدو حزينا.

■ لا، ليس هناك حزن، إن الهجرة مدرسة، والمهاجر دائم الاتصال بثقافات أخرى وبفلسفات أخرى، تجعله دائم الحوار مع هذه الثقافات المختلفة وحتى المتناقضة، وإذا عشت فعلا معاناة، فقد استفدت كثيرا، وإذا أردت أن أجيب على جزء من سؤالكم، يمكن العودة إلى أول شهر دجنبر في أول سنة بأمريكا، حيث قررت السفر إلى مدينة أخرى للبحث عن عمل، فحجزت تذكرة سفر ذهاب فقط، حتى أكون مضطرا للعمل والحصول على تذكرة الإياب، فسافرت إلى «شيكاغو» في مغامرة غير محسوبة المخاطر، لأن «شيكاغو» تمثل عشر مرات الدار البيضاء بسكانها وشوارعها وجرائمها واقتصادها العملاق ... ولذلك لم أحصل على العمل بسهولة، فقضيت بها ليال في الشارع وعشت مرارة الجوع ... إلى أن حصلت على عمل عند فلسطيني.

← وما طبيعة هذا العمل؟

■ رجل أمن وحراسة بمسدس (يضحك)...

← وهل سبق أن استعملته؟

■ (يضحك) لا، وحينما تعود بي الذاكرة إلى الوراء لا أتوقف عن الضحك.

خلال كل فترة الدراسة التي كنت في حاجة إلى الإمكانيات المادية، كانت دائما هناك الرغبة في الوصول إلى الهدف، دون أن أنسى العائلة التي كانت بدورها في أمس الحاجة إلى مساعدتي، ولذلك عشت فترة دراسة قاسية لكنها ممتعة أيضا، لأنني استفدت كثيرا في أمريكا، بل يمكن القول في الولايات المتحدة الأمريكية لا حدود للاستفادة.

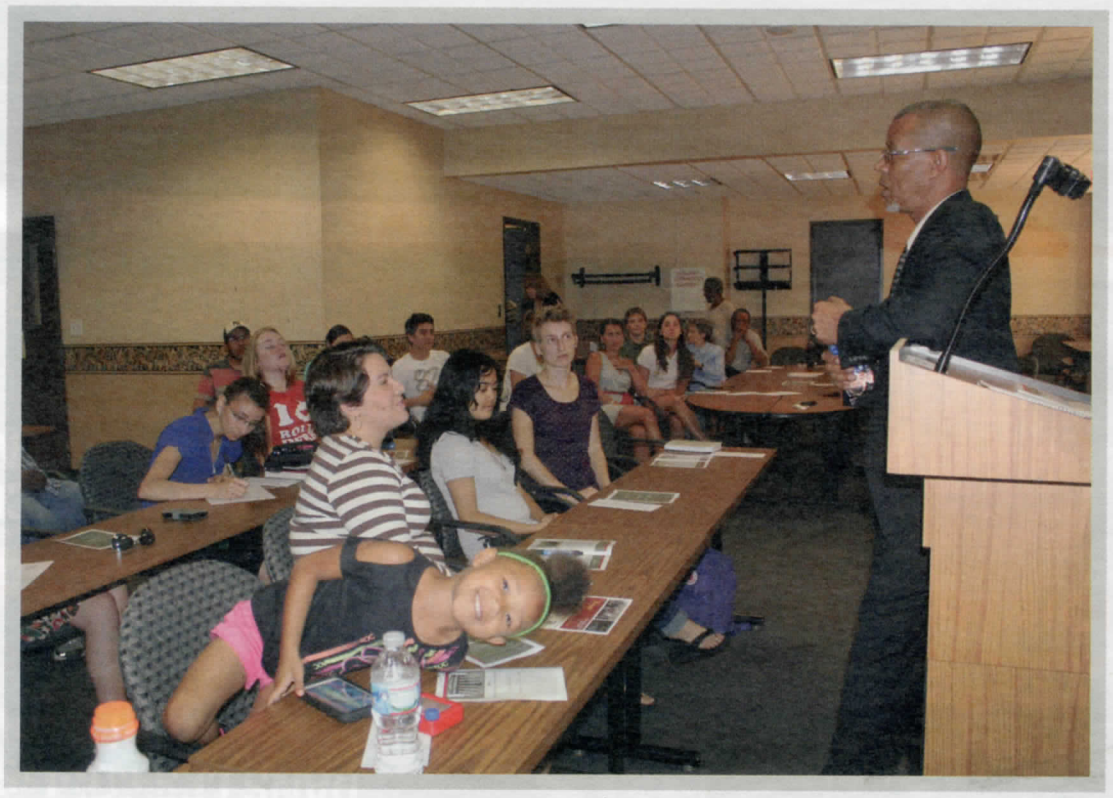

خلال إحدى فصول الدرس بجامعة «ويست فيرجينيا» بأمريكا

حبيبة زوجة الزياتي رفقة ابنتهما خلف قصيدة لعمر الخيام